



نجيب غلاب

# في مسألة التغيير.. الحرية بين المؤتمرات والحزب اليعيها

## المؤتمر هو التيار السياسي الوحيد الذي منح الناس حريتهم وجعلهم قادرين على امتلاك إرادتهم

مُثلّ بناء الحرية في فكر المؤتمر الشعبي العام مقدمة أولية للوحدة ولبناء المؤسسات الديمقراطية ولتحقيق نهوض تنموي، فالحرية هي أصل ولا يمكن للحرية أن تتأسس إلا بامتلاك المجتمع حق تحديد خياراته بنفسه دون إكراه وأية محاولات لتحديد احتياجاته ومطالبه من قبل النخبة مهما بلغت مثالية الرؤية المطروحة فإن ذلك يمثل أجهاضاً للحرية.

وتمثل الایدیولوجیا قوة قسرية تهدم حقيقة الحرية لدى المجتمع حتى في الحالات التي تحاول فيها الایدیولوجیا التأسيس للحرية نفسها فالطرح الایدیولوجي يبالي في مثاليته ويعزل نفسه عن الواقع لصالح الفكرة ويتم تحويل المجتمع إلى أداة لخدمتها، وفي هذه الحالة يفقد الناس حريتهم في الاختيار ويصبح المجتمع مكبلاً بالمقولات الفكرية ويسير وفقها بالقوة الإيجابية مما يجعله غير قادر على التفاعل الإيجابي مع التغيير المفروض الذي يحاول تجاوز الواقع دون مشاركة المجتمع صاحب المصلحة الحقيقية في التغيير لصالح المقولات الایدیولوجية المتناقضة مع البنية التي تعمل فيها.

## أحزاب المشترك تتعامل مع الديمقراطية كأداة لإجبار وقهر المجتمع

وظروف المجتمع والدولة ولكنه في ممارساته وتحركاته وتحالفاته متناقض مع أطروحاته. كان الأجدد بالحزب أن يمارس النقد لتجربتها السابقة ومحاولت فهم الواقع الجديد وتحولاته المختلفة وقراءة الليبرالية قراءة متجاوزة للفكر السابق الذي كان يرى منها بنية فوقية تستخدمها الحاكمة لترزيف وعي الجماهير، لأسهم في ترسيخ الحرية والديمقراطية. وبدلاً من ذلك مارس نقد على دولة الوحدة وشكك بها وعلى المجتمع والنخبة المشاركة له في الحكم ودخل في صراع مع شركائه وقام بتفسير الواقع بطريقة معكوسة متأثرة بعقائده السياسية السابقة فأصبحت الدولة وادواتها المختلفة بما في ذلك الديمقراطية ومؤسساتها أدوات للعسكر والقبيلة والقوى التقليدية للهيمنة على الثروة والسلطة، وكانت أهداف الحزب هذه المرة واضحة ولم تعد ملتبسة ومستصرة بالایدیولوجیا فالحفاظ على مصالح النخبة الحزبية هي الأصل والفصل، وعندما وجدوا أن الديمقراطية ربما تصل بهم إلى المعارضة وكان من الصعوبة مقاومتها فأتجت القيادة نحو الانفصال وفرضه بالقوة كطريقة لحماية مصالحهم وتخلصاً من تبعات الديمقراطية.

### تعامل انتهازية

ويمكننا تفسير تصرفات الأحزاب الایدیولوجية الحديثة أو الدينية في تأكيدها على الديمقراطية بشكل دائم وبصورتها المثالية ثم رفضها لتتناجها لأنها تتعامل بانتهازية مع الديمقراطية وتمارسها لا عن قناعة تامة بل كأداة تمكنها من السلطة حتى تتحكم بها وتحولها إلى أداة لقمع المجتمع وإجباره على اتباعها بمعنى آخر لا يمكن للایدیولوجیا أن تقبل بالديمقراطية وهي في الأصل لا تؤسس للحرية في بنيتها الفكرية وسلوكها.

ويمكننا القول إن أصحاب الفكر المؤلج يحملون كراهية عميقة لمفهوم الحرية والأليات الديمقراطية في اللاوعي خصوصاً في الحالات التي تعيقهم من تحقيق هدفهم في الاستيلاء على السلطة.

فمثلاً عندما يحصل الحاكم على الغالبية المرجحة في الانتخابات تبدأ أحزاب المعارضة بقرأة النتائج بصورة خاطئة ويتم وضع تبريرات كلها تصب في خاتمة اتهام الحاكم بالتزوير وباستخدام وسائل غير مشروعة للفقون وكل قول ممكن إلا أن يتم نقد الذات وفي الحالات التي يكون المؤلج على قناعة تامة بصحة النتائج وأن التجاوزات ليست كبيرة يلقي بانتهامات على الشعب ويتم استخدام الفاظ تلغي حرية الشعب ويصبح الجهل والفرق والتخلف هي الصفات التي تلقى على الناس وهنا ممكن الحطوة لأن النخبة تتولد لديها قناعات ان الشعب عاجز ولا يعرف مصالحة وتبدأ النخبة بمصادرة إرادة الشعب من خلال الاعاء بانها هي الممثل الفعلي للشعب وإفكارها هي العلاج التاجع لكل مشاكل المجتمع وإخراجها من كل أزماته ويصبح خطابها أكثر طرفاً ويطلب بالتغيير الجذري والشامل ويتم بناء رؤية تغييرية مثالية قائمة على مقولات أشبه بافتراضات غير محققة ولكنها تحول إلى حقيقة مظلّة.

والتغيير الشامل يحتاج الى تعبئة الانصار والناس من خلال نقد الواقع بهدف تدمير لانه شر محض وخلق واقع مختلف متخيل في بنية الایدیولوجیا والمشاريع المعبره عنها والتعبئة ضرورية لترزيف الوعي وتحريك العاطفة وبالتالي يتم بعث اللاعقلانية في فهم الواقع والاحداث ويصبح التضريض وممارسة العنف بصورته الفكرية والمادية وسيلة ضرورية لاحداث التغيير بما يعني أن العنف كامن في بنية الایدیولوجية المطالبة بالتغيير الشامل.

والتابع يجد أن أحزاب المشترك كلها أحزاباً ذات نزوع أيدیولوجي وتتعامل مع الواقع والحرية والديمقراطية بالطريقة الأنفة الذكر مما يجعلنا نؤكد أن المشترك ربما يقود البلاد نحو العنف. والمشكلة الأكبر أنه يتعامل مع مسألة التغيير أيضاً بعقلية تحكمها فكرة النضال أو الجهاد بصورته التي ترى في الآخر (الحاكم) العائق الوحيد أمام التغيير ويتم سحب التجربة التي مر بها العرب في فترة التحرر الوطني على الواقع الراهن ويصبح الحاكم هو الاجنبي ويصل الأمر بالمعارضة إلى توصيف النظام السياسي هو سبب الهزائم العربية وعجز المشاريع العظيمة في الداخل والخارج ويصبح الحل الرجيل وهنا تضع الحرية في متاهات التفسيرات الخاطئة وتتحوّل التعبئة إلى أداة لترزيف وعي الناس.

من أجل صراع عالمي وتحول المجتمع نفسه الى وقود لعركة تخدم مصالح الغير. ظهرت في جنوب الوطن قيادة متحررة نوعاً ما من الایدیولوجية الشيوعية بزعامه علي ناصر وأصبحت قريبة من حاجات الواقع ولكنها لم تستطع أن تحدث نقلة نوعية لصالح المجتمع وحاصرتها القوى المضادة المشيعة بالایدیولوجیا وكان نتيجة الصراع تفجر الایدیولوجیا بطريقة عجيبة أصبحت الولادات الدنيا هي المحد الفعلي في الصراع ورغم خروج القيادات المتحررة من المقولات الایدیولوجية منهزمة إلا أن الصراع بتلك الطريقة أضعف المتصرر وتحولت المقولات الایدیولوجية بشكل قاضح وليس خفياً كما هي عادة الایدیولوجیا إلى أداة للحفاظ على مصالح النخبة ليس إلا، كما أن الصراع أسهم افي إعادة التفكير وتم نقد التجربة وهذا مثل البداية الأولى لعودة الحرية من جديد.

وقعت النخبة الوطنية في الجنوب باتباعها أيدیولوجية مستوردة في أخطاء متراكمة أقلها قسر المجتمع وإجباره بقوة السلطة والحزب والسياسات القهرية على الرضوخ لتلك الایدیولوجیا باعتبارها الحق المطلق والقادرة على إخراج الناس من تخلفهم وجهلهم وفسادهم، ولكن هكذا تعامل اعاق المجتمع من تطوره وعمق تخلفه واستطاعات الولايات الدنيا أن تخترق النخبة وتفجر صراعاً باسم القيم الحديثة وهي في حقيقها صراعات متخلطة تحكمها ولايات المجتمع المبكوة.

وباختفاء الحرية فإن الدولة تضعف لصالح النظام التسلطي ففي الشرط الجنوبي لم تكن الدولة موجودة بالشكل الذي يتصوره البعض وإنما كان هناك نظام قوي قادر على فرض النظام والقانون بالقوة والاكرام والمجتمع مسلوب الإرادة محصور داخل ذاته مغلوب على أمره. إلا أن المجتمع مع الوقت تطور باتجاه حصوله على حريته بشكل بطيء وتطورته أشبه بمقاومة غير مرئية لسياسات النخبة القهرية، وهذا يفسر الخوف الذي أصت به النخبة الحاكمة في الشرط الجنوبي من التغيرات العالمية في المنظومة الشيوعية، ومثلت الوحدة انقازاً لها ولكن المهم في الأمر أنها أخرجت المجتمع من صراع فرضته نخبة عليه بإصرارها على تغيير الواقع بفكر متعال ومتناقض مع حاجات المجتمع ورغباته فكانت الوحدة أشبه بحركة تحرير بالنسبة للمجتمع من قسر وقهر النظام.

### تفسيرات خاطئة

ويمكن القول إن الوحدة كانت هدفاً جوهرياً في فلسفة النخبة الحاكمة في الجنوب ولكن ایدیولوجیةا المثالية شكلت عائقاً كبيراً أمام انجازها واعتقدت بفعل الیات عملها وتفسيراتها الخاطئة أن قوى المجتمع التقليدي شمالاً وجنوباً هي العائق وهذا يفسر لجوفا العنف واستراتيجيتها في تصفية القوى التقليدية كمقدمة لتحقيق الوحدة ولو استمرت سياسة العنف ما تحققت الوحدة.. وعلى النقيض من ذلك تبنت المؤتمر وقياداته السياسية استراتيجية سلمية وتدرجية من خلال الحوار والنقاش ولا يمكن تحقيق الوحدة إلا برضى الأطراف كلها بمعنى آخر أن المؤتمر جعل من الحرية شرطاً أساسياً للوحدة وهذه السياسة هدأت من الصراع بين الأشقاء وكانت مدعومة من أطراف نخبوية في الجنوب غلبت العقل على الایدیولوجیا.

ولأن الوحدة كانت تعبيراً حقيقياً عن إرادة الناس ونتاج الحرية فقد اقتحرت بالديمقراطية ومثل المؤتمر القوة الرئيسية الدافعة لتحقيق الديمقراطية ودافع عنها بكل قوة عن قناعة تامة.

تعاملت الأحزاب الایدیولوجية مع الديمقراطية كأداة لتحقيق هيمنتها ليس إلا والدليل على ذلك أن الحزب الاشتراكي رفض نتائج الديمقراطية ولم أجدها تفسيراً إلا أنها كانت معاكسة لمصالح نخبته وأيضاً هيمنة الفكر الشمولي على عقلية الحزب الاشتراكي وسلوكه بسبب أن الحزب انتقل إلى الليبرالية بسرعة ومارس فكراً مناقضاً لما ظل يحاربه طوال تاريخه، فتعامل مع الديمقراطية بانتهازية ولكن الفكر السابق ظل في بنية الحزب وتكويناته المختلفة فالعقلية الثورية المحكومة بالصراع وقيم ومفاهيم اليسار جعلتهم يتعاملون مع الحرية والوحدة والديمقراطية والتنمية وفق الأطار المفاهيمي السابق، أما الليبرالية فكانت شعاراً مرفوعاً ولكن بصورة مثالية ومتعالية عن الواقع. وهذه النقالت الجذائية من الماركسية إلى نقيضها أدخلت الحزب في دوامة من الصراع مع نفسه والمجتمع من حوله واتجه نحو ممارسة السياسة بطريقة غريبة طرح حلولاً طوبائية ويتحدث عن الأفكار الليبرالية بصورتها المثالية ويطلب الآخرين بها بصرف النظر عن الواقع المحيط

سيرتها الأولى ويتأسس المؤتمر الشعبي العام امتلاك الشعب حريته من جديد وتحضر من أسر القوى الوطنية التي سيطرت عليها العقلية الایدیولوجية فجعلت من المقولات الفكرية أصلاً والمجتمع خادماً لها والنخبة هي صاحبة السيادة لأنها أكثر وعياً وفهماً في تغيير المجتمع ونقله إلى أطوار جديدة من التطور والتقدم والنتيجة أن المجتمع فقد حريته الشرط الأساسي لتطوره وتقدمه بشكل صحيح ومتوافق مع حاجاته ورغباته. وبالميثاق الوطني صاغ الناس أطواراً فكرياً منفصلاً تابعاً من المجتمع ومعيراً عن طبيعته كما هو وحد الطموحات والغايات من واقع المجتمع البيني وحاجاته، ومع الميثاق تم إعادة بناء المشروع الوطني الذي بدأ تأسيسه مع الثورة اليمنية.

### الانتقال من دوائر «النخب»

وبمشاركة المجتمع في تحديد حاجاته وطموحاته انتقل المشروع الوطني بقيمة التي حددتها أهداف الثورة من دوائر النخب وتفسيراتها المتناقضة إلى المجتمع بتكويناته المختلفة فأسهمت بإعادة بنائه وصياغته برؤية جديدة متوائمة مع الواقع وحاجاته وهذا ما جعل من الميثاق الوطني محل إجماع شعبي ويتشكيل أداته التنظيمية ثم خلق توازن وتوافق بين القوى السياسية حصل النظام السياسي على شرعية قوية محتحة القوة الكافية والقدرة على رسم السياسات المختلفة لتحقيق المشروع الوطني والتي شكلت الوحدة فيه الجوهر الأساسي فيها يتكلم المشروع وتصبح الدولة اليمنية الموحدة قادرة على تفعيله بابعاده المختلفة ومنحه آفاقاً جديدة من التطور والتقدم. بتأسيس المؤتمر للحرية نقل الوحدة من دائرة النخب وتوظيفها كأداة في الصراع السياسي لتصبح جزءاً من وعي أبناء اليمن كقيمة وهدف جوهري من أهدافهم فتحرك المجتمع في اتجاه تحقيقها وهذا يفسر التأيد المنقطع النظر لها عند الإعلان.

فلولا الحرية ما كانت الوحدة وهذا ما جعل منها اختيارياً حراً من قبل الناس لأنها تعبير عن ما يمكن راسخ في الوعي واللاوعي المجتمعي وتحقيقتها كان بحاجة إلى تحرير المجتمع من قوة القهر والكتب وكان حصوله على حريته هو المقدمة الفعلية للوحدة.

ويمكن تفسير ذلك من خلال قراءة صحيحة واقعية للتاريخ بعيداً عن العاطفة أو توجيه أي اتهام لأحد بالخيانة أو العمالة فالقوى السياسية في أغلبها كانت وطنية وصادقة ولكن الذي أعماهها وجذب عنها فهم مصالح أهل اليمن هي طريقة التفكير وتبني أفكاراً أعانت النخب عن فهم الواقع كما هو وفسرت بمقولات ومفاهيم لا علاقة لها بالواقع مثلاً عن الممارسات والحلول خاطئة وإن لم تكن خاطئة فانها تعبر عن واقع غير الواقع اليمني وتحولت الایدیولوجیا إلى أداة قهرية أفقدت المجتمع حريته.

فالثورة اليمنية في نهاية التحليل عبرت عن حاجة المجتمع اليمني للتحرر من القوى الحاجبة لطبيعته ومنحه حريته في التعبير عن حاجاته ومطالبه وقد مثلت الوحدة هدفاً جوهرياً إن بدونها تصبح الثورة ناقصة فالقوة اليمنية الواحدة تمثل غاية جوهريه للثورة اليمنية وبدونها تصبح كل المعاني مشوهة.

### قراءة متعالية

الذي أعاق الوحدة من التحقق حالة القهر الجديدة التي فرضتها النخب الوطنية الحديثة ذات النزوع الایدیولوجي ومحاوله قسر المجتمع برويتها المتعالية وقراءتها للواقع وفق الية عقلية مستندة على مفاهيم وقيم أيدیولوجية متناقضة كلياً مع المجتمع وطبيعته كما هو في الواقع وبالتالي كانت تفسيراتها خاطئة ولطولها لا تناسب طبيعة الهدف نفسه فالوحدة لا يمكنها أن تتم بالعنف والفسر وإنما بالاختيار الحر ودفع المجتمع لتحقيق أهدافه وفق رؤيه لم يؤسس لها ومتناقضة مع طبيعته يدخل المجتمع حالة حرب مع نفسه وهذا يعيق الهدف ويؤجل تحقيقه لصالح القيم الایدیولوجية المتعالية عن الواقع ولصالح النخبة السياسية الهيمنة على المجال العام.

حاولت القوى اليسارية في شمال الوطن وجنوبه ربط الوحدة بالقيم الفكرية الحاكمة لعقولهم وتم وضع الاشتراكية شرطاً أولياً وأصبح الهدف الجوهري أداة لخدمة فكرة متعالية لا علاقة لها بالواقع فضاغت دولة الوحدة في متاهات التنظيرات الایدیولوجية وأصبح الصراع من أجل الوحدة حرباً على الأميريالية والقوى التقليدية المعيقة للتقدم فتحوّلت الوحدة إلى شعار للحزب

وعلى الرغم من المقاومة التي يبديها الناس لتحرير أنفسهم من قيود القهر التي يتم إجبارهم على التعامل معها وفهم وممارسة حياتهم وفقها، إلا أن النظرة المتعالية من قبل النخبة وإحساسهم بالتميز وقناعتهم بالقيم والمفاهيم التي يحاولون فهم الواقع من خلالها وتغيير الواقع من خلالها تجعلهم يحكمون على المجتمع بالعجز والفشل لأنه جاهل أو متخلف تهيمن عليه العاطفة ومستواه العقلي متدن وتحكمه عادات وتقاليد بالية، وهذا الفهم يدفع بالنخبة لتعلن وصايتها على المجتمع من خلال تحديد حاجاته ورغباته، وهنا يفقد المجتمع حريته بشكل نهائي.

### حقيقة الحرية

في تصوري أن المؤتمر كان التيار السياسي الوحيد الذي منح الناس حريتهم وجعلهم قادرين على امتلاك إرادتهم في تحديد الخيارات الفعلية المعبرة عن حاجاتهم وطموحاتهم فاعاد للثورة اليمنية رونقها وحيويتها واعدت الاعتمار لجوهرها فالثورة أصلاً قامت من أجل الحرية كمطلب أولي وجوهري يمنح المجتمع القدرة على تحديد قيمه ومفاهيمه وأساليبه في الحياة ورسم معالم مستقبله. عبرت مسهل الثورة عن مطالبه ووضع الخطوط العريضة لأهداف وإغايات المجتمع، وبهذه الطريقة جعلت من الحرية حقيقة فاعلة لا وهماً وشعارات مرفوعة يتم من خلالها محاصرة المجتمع وخنقه من خلال إجبارها على اتباع رؤية فكرية لا تعبر عن حاجته ومطالبه.

إن الذي أعاق المجتمع من أنجاز أهدافه بعد الثورة هيمنة الایدیولوجیا على عقلية النخب السياسية التي قامت بتزويج أفكار متعالية لا علاقة لها بطبيعة المجتمع وحاجاته وادارت صراعاتها من خلال تلك الأفكار، وتعددت الایدیولوجيات من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين وكل طرف يخون أو يكفر الطرف الآخر وهي نتيجة منطقية لأن الایدیولوجية ترى في الآخر المخالف لها عدواً ومعيقاً لطموحاتها لذا تسعى نحو الغائه وأن لا تستطع تدمره من خلال ممارسة دعاية سواء تسلبه كل إيجابية وتلحق به كل عيب وتنهمه بكل التهم تبدأ بالتخوين وينتهي بالانتهازية أو بالزندقة والكفر حسب المصطلحات الحاكمة للبناء الایدیولوجي.

وقد بدأ ضرب الحرية التي قامت من أجلها الثورة اليمنية على يد هولا، الوطنيين الذين حملوا أفكاراً أيدیولوجية من خلال الإداء أنهم ممثلو الشعب والأجدد على اختبار القيم والمفاهيم التي من خلالها يتم تغيير المجتمع بصرف النظر عن توافقها وملائمتها لطبيعة المجتمع وحاجاته وقامت كل نخبة بتفسير أهداف الثورة وفق القيم المؤسسة لأيدیولوجيتهم وهذه الطريقة أدت إلى تعدد التفسيرات وتناقضها في الوقت نفسه ولا مشكلة في التعددية إن كانت معبره عن واقع المجتمع وقواه الحقيقية ولكنها تعددية لا علاقة له بالواقع مطلقاً.

كل ذلك أدى إلى تشويه القيم المؤسسة للمشروع الوطني الذي عبرت عنه الثورة، ودخلت النخب بصراعات عنيفة، للسيطرة على السلطة باعتبارها الأداة الأساسية القادرة على منح النخب أدوات العنف والقسر لإجبار المجتمع على تغيير نفسه وفق المعالم التي حددتها الایدیولوجیا، وتم توظيف الأفكار والمجتمع في الصراع وكان الخاسر الوحيد المجتمع بضياع أهدافه وفقدانه حريته.

لعبت بعض الشخصيات الوطنية كالقاضي عبد الرحمن الإرياني أدواراً قوية وفاعلة في التأسيس للحرية ولكن القوى الحزبية التي هيمنت عليها العقائد السياسية وتوظيف تلك العقائد في ترزيف وعي المجتمع وتحويله إلى أداة في الصراع من أجل مصالح النخب المتصارعة أعاق جهود قوى الخير والمجتمع من أحداث التحولات الخادمة للدولة والمجتمع.

التجار السياسية المتلاحقة في شمال الوطن وجنوبه كوتت قوى وطنية أضنتها الصراعات والتعامل بتعالي مع المجتمع وبدأت تؤسس للحرية من جديد كمطلب أولي يعطي المجتمع الحق في تحديد مطالبه، وظهرت تلك القوى بشكل واضح وقوي في شمال الوطن مع وصول الرئيس صالح إلى السلطة وقد حاولت القوى الایدیولوجية في الشمال والجنوب إجهاض التجربة السياسية الجديدة إلا أن قوة الخير انتصرت هذه المرة وعادت الثورة اليمنية إلى

### أصحاب الفكر المؤلج

### يحملون كراهية

### عميقة لفهم الحرية

### والأليات الديمقراطية

### في اللاوعي، خصوصاً

### في الحالات التي تعيق

### هدفها في الاستيلاء

### على السلطة